الهوية والآخر – قراءة في خطاب المثاقفة والإيديولوجيا– – حكاية العربي الأخير 2084 – أنموذجا

Identity and the other - Reading in the speech of acculturation and ideology - The Last Arab Tale 2084 -Model

أ.بن زهية عبد الله
جامعة الجزائر (2)
abdallah.benze@yahoo.com

الملخص:

استشرف واسيني الأعرج حالة العرب في المستقبل بكتابة نص روائي استلهم تأثيثه من الواقع السائد، حيث أظهر من خلاله معاناة العربي الذي مثله البطل في التيه والغربة من خلال إعادة تدوير التاريخ،فقدم عملا إبداعيا حاول من خلاله تشكيل وعي جديد بالذات والهوية والمستقبل، ومن هنا جاءت هذه الدراسة مبنية على عدّة إشكاليات أهمها: ما مدى انعكاس واقع الحياة على الكتابة الروائية؟ وكيف يمكن استيعابه في مستوياته المتعددة وما تطرحه من أهمية؟ ما هي الآليات التي اعتمدها الكاتب في استثماره للواقع؟ وما هي القراءات التي قدمها كمفكر وناقد؟

الكلمات المفتاحية: الكتابة – المثاقفة – الإيديولوجيا – التاريخ – الأنا والآخر.

Abstract:

Waciny Laredj forecasted the Arabs' future situation by writing a narrative inspired from the dominant reality, where he showed the Arab's suffering represented by the hero in "Straying and Alienation" through recycle history. Waciny produced a creative work in which he tried to form a new awareness of the self, the identity, and the future. The main questions on which this study was built are: To what extent narrative writing reflects the reality of life? How can it be absorbed at its multiple levels and the importance it poses? What are the mechanisms adopted by the writer in his investment of reality? What are the readings he gave as a thinker and a critic?

Keywords: writing - the acculturation - the ideology - the history - the ego and the other.

=====

تقديم:

تعتبر الكتابة من الطرق التي يعبر بها الإنسان عن نفسه، ومن خلالها يشكل الصور التي تعكس انتماءه وطريقة تفكيره، وشخصيته التي استقت جوهرها من مشارب متعددة وقد تطورت وظيفة الكتابة من تعبير عن الذات إلى أداة حجاج في مواجهة الآخر وسبيل لتقديم الرافد الثقافي، وإبراز المميزات الثقافية والقيم الأخلاقية والدينية، وتجاوزت ذلك لتتناول الإيديولوجيات والفلسفات لتقدمها في قالب فني يدفع القارئ للتساؤل والتحليل والنقاش...

ومن المعلوم أن الكاتب في فعله الإبداعي لا يستطيع التخلي عن ذاكرته التي تستمد كينونتها من المرجع الاجتماعي والتاريخي الذي ساهم في تشكل معالمها، فيقدم نصه بطريقة جديدة تتناسب وطبيعة فعل الكتابة الروائية، معيداً تشكيلها وشحنها بما يختلج في نفسه من تفاعلات وتساؤلات، ورؤى تحتاج التحليل والتفسير لكشف أبعاده الفنية والدلالية والجمالية، فيصبح النص الروائي وسيلة لفهم التعقيدات في ظل التحولات الراهنة مستخدما بذلك المخزون الثقافي، ومستفيدا من طول التجربة الفنية التي تساعده على صياغته وإعادة تدويره كإنتاج إبداعي يساهم في تشكيل وعي جديد بالذات والهوية والمستقبل.

إن التفاعل الذي تنتجه الأفكار والنصوص بمختلف مشاربها داخل القالب الروائي للكاتب تجعله زاخراً بالتنوع الثقافي، ذلك أن استحضار هذه النصوص يعد رابط صلة بين الماضي والحاضر، على أن تكون الغاية من ذلك الاستفادة من الماضي للتعبير عن هموم الحاضر ورؤى المستقبل.

تمثل الهوية في الكتابة الأدبية:

إن الحديث عن الهوية حديث عن الثوابت والعقيدة والعادات والتقاليد والميراث الفكري لمجتمع من المجتمعات، ذلك أن الهوية تتشكل لتجمع بين كل

المقومات التي تبني شخصية الإنسان وتطبعه بطابع خاص يميزه عن البقية، ويتوسع مفهومها ليجمع بين بين أفراد المجتمع ويلخص الثابت المشترك بينهم فتكون عنونا لانتمائهم الاجتماعي والإقليمي لتعطيه الخصوصية التي يواجه به الآخر كونها تتجذر في اللاوعي مشكلة بذلك حجر أساس في بناءه.

يعمد الكاتب قبل بداية الكتابة وإنتاج النص إلى تأسيس أفكاره، ورسم المحاور التي يسير وفقها ويتبنى مواقف يعبر عنها وقضايا يعالجها، وغالبا يكون ذلك من العالم الذي يحيط به سواء كان قريباً أو بعيداً، فالكاتب ليس في معزل عن التفاعلات الاجتماعية المحيطة على اختلافها، سياسية كانت أو اقتصادية أو فكرية أو حتى دينية، لأنها في كثير من المرات تعتبر مادة غنية للكتابة فيها ومعالجة ما تشابك فيها من آراء و رؤى، فعلاقة الكاتب بالمجتمع تشمل وعيه لما يجري حوله، حيث تكون وظيفته كشف المستور إما للنقد أو المعالجة، يقول سعيد يقطين : " إننا كما نفكر في ذواتنا نفكر في تراثنا وتاريخنا الحضاري والثقافي، وكما نقرأ مستقبلنا، وكما نفهم ذاتنا نفهم الآخر من حولنا."[1]

لقد مثلت الكتابة مسرحاً عكس صورة التطورات التي ميّزت المسيرة الأدبية على اختلاف البيئات التي نشأت فيها، وصورت الثوابت السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد كان للاستعمار – كعامل بارز – أثرٌ على المجتمعات المستعمرة من خلال الممارسات التي كان يمارسها على الشعوب خاصة في ما يتعلق بالفكر والدين واللغة باعتبارها من الأساسيات التي تشكل الهوية الوطنية، وذلك من خلال القضاء على الثقافة والعادات والتقاليد وتشويهها.

انتهى الاستعمار العسكري، وتقدم الوقت ليجد العقل العربي نفسه أما استعمار فكري حملته رياح العولمة من خلال الانفتاح الثقافي والحضاري على الآخر الذي أسس فكره وفلسفاته على المركزية والريادة وهذا في حد ذاته إخلال بشرط المثاقفة فهو نوع من التعدي الثقافي المضر بالهوية الثقافية للآخر، حيث تتحول عمية التواصل المرتكزة أساسا على مبدأ التأثر والتأثير إلى غزو ثقافي ونفي لحق الآخر في الظهور والتعبير عن الذات، ومن هنا " فإن مشكلة الهوية الثقافية

ليست في اكتساح العولمة والأمركة، على ما نظن ونتوهم، بل في عجز أهلها عن إعادة ابتكارها وتشكيلها في سياق الأحداث والمجريات أو في ظل الفتوحات التقنية والتحولات التاريخية، أي عجزهم عن عولمة هويتهم وأعلمة اجتماعهم وحوسبة اقتصادهم وعقلنة سياستهم وكوننة فكرهم ومعارفهم، تلك هي المشكلة التي نهرب من مواجهتها: عجزنا حتى الآن عن خلق الأفكار و فتح المجالات وتغيير الأدوار لمواجهة تحديات العولمة ..."[2].

ولا شك أن موضوع الشرق والغرب في قضية الكتابة المعاصرة يجد عمقه أكثر حين ينطلق النص في رحلة بحثه عن العالمية التي تتلاشى فيها الحدود، وتتمازج فيها الآراء وتتلاقح فيها وجهات النظر وتتشارك فيها القيم الإنسانية وفلسفات الحياة حاملة بذلك القيم والتراث الذي نشأ بين أحضانه فيصبح النص سفيرا بلغته وهويته مجسدا "الأنا" فردية كانت أو جمعية، لذلك فإن من المهام والأدوار الأساسية التي تقع على عاتق الكاتب المثقف مهمّة الانفتاح على الذات، و التفاعل مع قضايا الوطن، وبطبيعة الحال فإن هذا الانفتاح و التفاعل هو الذي يلغي الحواجز، ويسمح بإقامة علاقة ثابتة وحقيقية مع أبناء الوطن، تجعله يدرك متطلباته من الداخل ويزرع بذور التفاعل الإيجابي بين المثقف والقضايا الوطن المختلفة" [3].

إن ما جعل العربي اليوم يشعر بالنقص في ذاته، منتقدا أصوله الثقافية، ومتهما إياها بالعجز في توفير السبل المثلى لرقي ثقافي وحضاري ومواكبة تطورات العصر الحديث (وهذا بالذات عامل أساسي ساهم في انسلاخ العقل العربي متأثرا بالوافد الجديد من الحضارة الغربية) هو ما جعل الثوابت الثقافية لا تصمد كثيرا وتتلاشى ليكون تراجعها جليا، وضعفها واضحا أمام الآخر، حيث نلمس فيها حياء مفرطا، وتيها واضحا وهذا ما يعكسه المنجز العربي في الوقت الحاضر على مستوى الكثير من المجلات بما فيها الأدب لغة ومضمونا.

ولعل رواية العربي الأخير 2084 من بين النماذج الإبداعية التي عكست صورة العربي التائه الذي يبحث عن ذاته الضائعة وسط ركام الحداثة التي خطت عناوينها بأقلام تعمدت تركه على الهامش، حيث استشرف فيها الكاتب واقع الوطن

العربي وأحواله في المستقبل، وما سيؤول إليه من ضعف وخنوع وذل وتبعية للآخر، ألبسته ثوب المريض المقبل على الموت، حيث حرّك وقائع وأحداث الرواية من خلال شخصيات لها دلالات إيديولوجية وتاريخية، حيث يظهر ارتباط الكاتب بالتاريخ من خلال استحضار الحوادث التي مثلت الزاد الذي استمد منه تلك الأفكار التي أحيا من خلالها النص الماضي في سياقه الروائي الحاضر، لإنتاج فسيفساء تطبع النص بذلك الطابع الجمالي الذي يضفي على النص واقعية الطرح، فوظف بذلك مجموعة من القيم جمعت بين التاريخي والاجتماعي، السياسي والإيديولوجي، وحتى الأخلاقي، مشكلا من خلال طرحه الروائي مصير عربي تقاذفته أمواج الزمن ليجد نفسه تائها ضعيفا مجردا من الحرية مقارنة بالآخر الذي بقي محافظا على سلطته وقوته مقررا مصير الآخرين كما يحب، حيث يحاول الكاتب من خلال هذه التجربة تدارك الأمور قبل وقوعها من أجل تغيير الواقع وحساب العواقب.

صورة العربي في الرواية:

إن توظيف شخصيات معينة يضمن استعادة ما تضمنته دراسات التاريخ عنها وصياغتها بطريقة جديدة تثري الدلالة الرمزية للنص، إذ تعكس الشخصية الموظفة أبعاداً اجتماعية، وسياسية وفكرية في العصر الحاضر (المستقبل روائيا)، مما يتيح التواصل الزمني وبهذا يبرز دور القارئ الذي يكشف بوعيه عن قيمة ذلك التواصل وأثره، كما يضمن امتدادا للأحداث وتفسيرا للنتائج، إذ يقوم الكاتب بالتصريح باسم الشخصيات وبمجرد استدعاء الاسم فإنه يحيلنا إلى ماضيها وما اشتهرت به عبر التاريخ بدلالتها المختلفة فيسمح للشخصية بأن تأخذ دلالتها المعاصرة في الرواية، فالكاتب حاول أن يبث رؤيته للأحداث، ويعبر عن القضايا العامة والخاصة من خلال بعث هذا الرمز، كما استطاع أن يوجد تكاملا بين الماضي والحاضر في النص الروائي (والذي يعتبر مستقبلا بالنسبة لنا)فالماضي بدلالته الواسعة و رموزه المختلفة يحرك الواقع، وبالتالي يعبر عن آراءه و أفكاره ومواقفه.

" **العربي الجيّد هو العربي الميت.**"[4] هكذا افتتح واسيني روايته – حكاية العربي الأخير 2084 – ليحيلنا إلى قاعدة يتبناها الآخر للحكم على العربي الذي أصبح يعيش على الهامش كمخلوق منبوذ غير

مرغوب فيه لأن أكثر ما يؤرق الأخر هي الذات العربية المفكرة العارفة لذاتها، فالعربي الجيّد في نظر الآخر هو العربي الذي يلغي نفسه ولا يفكر، هو العربي الذي يقبل الواقع مثلما يصنعه الآخرون، العربي الجيّد هو الذي لا يسأل عن سبب قتله، هو الذي يمدّ عنقه للظلم والموت مبتسما، هكذا رأى"**باتريك سرينغ**" العربي وأمثاله كثر من مدعي المركزية الفكرية والأولوية في الحياة، ومن يرمز لهم في النص الروائي.

يظهر " آدم" المثقف العربي والعالم النووي المرشح لجائزة نوبل من خلال الرواية شخصيةً متأزمة، محكوم فيها من قبل الآخر الذي لم يرضه لباس الثقافة على هذا الشخص الآيل للزوال " **ليتل بروز لم يخف دهشته وهو يحادثه: عربي ويفكر؟.**"[5] هذا العالم الذي اختطف بعد محاولة للقتل في مطار شارل دو غول في باريس، ليؤخذ إلى قلعة أميروبا ويبقى هناك بعيدا عن أهله وعائلته، ويبدأ رحلة بحثه عن ذاته أولا ثم حلم تحقيق مشروعه النووي ثانية وطبعا بمساعدة الأخرين، لأن العربي لا يستطيع معرفة ذاته إلاّ عن طريق المساعدة.

كما صورت الرواية حالة البلاد العربية " **آرابيا**" وما آلت إليه من دمار وخراب وصورت الشعب العربي الجائع، الذي يتزاحم أفراده وتتقاتل مجتمعاته من أجل لقمة لسد الجوع بعد زوال الخيرات التي كانت الأرض العربية تنتجها، مجسدا بذلك الصدام الحضاري ليتوقع نهاية للواقع الذي يعيشه العربي الآن، فصار العرب بقايا بشر، بدون تاريخ ولا هوية.

صورت الرواية العربي التائه، العربي الممزق، العربي الذئب في غربته، العربي الجائع، العربي الذي قتلته الحروب، العربي الذي هرب باحثا عن الأمان، هذا واقع العرب وحالهم اليوم، ما يحدث في سوريا وليبيا، وما حدث في العراق واليمن وتونس ومصر، ما يحدث في فلسطين منذ سنوات طويلة، دمار واستدمار وقهر

وحرمان، وتفشي للجريمة والإرهاب بتعدد فرقه ومصادر تمويله حيث صورته الرواية بأنه ليس قدرا محتما يلاقيه الإنسان، بل من صنيع أيادي قذرة حملت العداء للسلام عامة، وللعربي خاصة، لأن سلامه يعني استقراره واستقراره يعني تفكيره فيما يحيط به، كما صورت التمزق الاجتماعي والطائفي والحكم دكتاتوري الذي طغى فيه الحاكم العربي على الرعية، وأيقن في نفسه بأن الكرسي لم يخلق إلاّ له " **الفرق بين آرابيا والعالم الآخر هي أنّ الثاني على الرغم من العنف هناك إصغاء لحل المعضلات، كما في بلجيكا وسويسرا وإيطاليا وكندا والهند، باكستان، فرنسا وأمريكا والصين وروسيا وغيرها، لكن آرابيا لم تمنح فرصة تأمل وضعها بسبب جنون حكامها وأطماعهم وإخفاقهم. كلما زادت الحروب كثافة والفقر توغلا، أصبح التفكك سريعا وكبيراً من الصعب التحكم فيه.**"(6)

إن الوقائع والأحداث التي سكنت الواقع العربي ومازالت تسكنه إلى اليوم كانت زادا للكاتب، أنتج من خلالها فسيفساء أدبية امتطى فيها جواد التاريخ واستخدم فيها منظار التخييل، فصاغها في قالب فني يبعث في القارئ تأملات تفتح له نافذة يطل من خلالها على الحقيقة. الحقيقة التي يعيشها العربي بأزماته وتمزقاته التي إن بقيت قضت على جنسه واقعا وتخييلا واستشرافا.

ولعل الشيء الذي يلاحظ في الرواية هو إيغال الكاتب في التاريخ، باعتباره مكونا أساسيا في بناء شخصية الإنسان وهويته، وقد استغل واسيني الأعرج هذا الباب ليهب الواقعية لأحداث البيت الروائي الذي صنعه من خلال بعث الأحداث التاريخية من جديد، سواء كان بعيدة أو قريبة، ليفسر بذلك قلق الانتماء وهاجس الاستقرار عند العربي الذي طاردته الحروب ومازالت، وحاربه الإعلام الذي باع مبادئه في سبيل تشويه صورته واختزال قيمه، وتجريده من إنسانيته، حتى صار العربي في نظر الآخر إرهابيا أينما حلّ وارتحل وشهوانيا شاذاً لا يكاد يبتعد عن شهوته إلاّ وعاد إليها...

والأكيد " **أن الغالب "الآخر" لا يكتفي بمصادرة تاريخ المغلوب "الأنا" والتكلم باسمه، بل يذهب إلى ما وراء التاريخ، في حين لا يجد المغلوب طريقة**

يذود بها عن نفسه سوى اللجوء إلى وهم الماضي وأمجاده"[7] فنجده في عزلة عن حاضره، هاربا بين صفحات التاريخ يقلبها علّه يجد عزاء لواقع أصبح يرفض وجوده كإنسان تحق له الحياة"**وحده الذئب يبحث عن حريته. يتأقلم مع كل الصعوبات. فيَّ شيء يشبه الذئب. يمكنني أن أكتفي باللامكان. أسكن تحت شجرة أو في عمقها إذا كانت مجوفة...**"[8]سار ظل الذئب بجانب آدم طوال فصول الرواية، صورة الذئب وما تحمله من دلالات يوحي من خلالها النص الماضي في سياقه الروائي الحاضر.

إن الذئب "**رماد**" كما سماه الكاتب رمز للغربة والوحدة وعدم الاستقرار، والقوة والتوحش والغزو،حيث تعتمد طبيعة عيشه التي كانت تعتمد على الغزو و الترحال من مكان إلى أخر دون استقراره، فكان دائماً غريباً في البلاد التي حل بها. فالكاتب قام بنوع من التمثيل بين الحضارة العربية و الغربية، " فآدم " كان ينتمي إلى عالم عربي بفكره و ثقافته وطريقة تفكيره، و هو ما جعله غريباً في ذلك العالم " العالم الغربي " فكان و كأنه مطموس المعالم،ففكرة الاستئناب بدت جلية في متن الرواية، ذلك الذئب الذي يعود طيفه للجد الذي يرمز إلى الأصل، فتمثلت شخصيته الذئبية التي جعلته شخصية مختلفة عن الناس الآخرين.

رواية العربي الأخير قالب اجتمعت فيه هموم الكاتب كمثقف يحس بمسؤولية يشوبها الكثير من الخوف والكثير من الحزن والأسى الدفين الذي يتجلى للقارئ في كل حين بين الفواصل والكلمات، والجمل والمشاهد التي يرسمها، وهذا ما يجعل القارئ يتفاعل مع النص مستقبلا رسالة تمثلها الكاتب وأخذها على عاتقه محاولا من خلالها تفجير الوعي وتدارك القارب قبل غرقه كما تمنى في بداية نصه.

الصراع الإيديولوجي بين الأنا والآخر في الرواية:

أسهمت عوامل تاريخية في احتدام الصراع بين الأنا والأخر،وساهم في ذلك تضارب مصالحهما واختلاف انتمائهما الثقافي والاجتماعي، لكن المشكلة كما يقول الباحث الأردني سلام الربضي" **فالمعضلة الأكبر في مجتمعاتنا هي جدلية وجودية، قائمة على مسألة كيفية إقامة النظام الاجتماعي العام، إذ أن معظم الدول العربية قد فشلت في خلق ثورة تكاملية. بمعنى أنها فشلت في ضم سكانها تحت مبادئ**

عامة تؤكد مصلحة الوطن والمواطن والعروبة فوق المصالح الطائفية والإقليمية المبتذلة. بل إنها ونتيجة لسياساتها، أضافت انقساماً جديداً إلى بنية المجتمع العربي وهو الانقسام الطبقي، من خلال رسم استراتيجيات اجتماعية واقتصادية تخدم فئات بعينها، حيث أخفقت في توطيد مبادئ المساواة والعدالة والحرية الفردية."[9] وهذا ما زاد الهوة وأكد على الاختلاف، وأزاح القيم الإنسانية المشتركة أمام الطائفية وتعدد المذاهب التي لا فائدة منها سوى المشاكل والانقسامات التي نسفت الثقة وتركت المجتمع العربي مثل أرض خصبة زرعت فيها بذرة الفتن والإرهاب الذي نمت شجرته وتأصلت منابته.

ينظر الآخر مثلما صورته الروية إلى العربي نظرة انتقاص تجرده حتى من حقه في الحياة ينظر إليه بشيء من العقائدية على أنه تابع لا يصلح إلاّ أن يكون كذلك، ومع تعدد المشاهد التي برزت من خلالها الشخصيات والأدوار التي كانت تعطي للرواية توازنا بين ثنائية الخير والشر، والصداقة والحب، والغربة والانتماء، نجد البطل معلقا بين حنين العائلة وحنين السلام الذي قرر أن يصنعه بنفسه من خلال ابتكار قنبلة الجيب النووية، التي قرر أنها ستستخدم في إطار سلمي ضد الإرهاب، لكن من تبنى المشروع كمن يزعم أنه أب للسلام في الواقع، هذه المركزية التي يسعى إليها العالم الغربي اليوم مبررا بغايته المزعومة(نشر السلام والديموقراطية) كل الوسائل التي يتبعها غير آبه بمعانات الشعوب المستضعفة، فمنذ القديم كان الاستعمار وما يزال على اختلاف أنماطه يجر الويلات على العالم، سباق نحو التسلح، وآخر لاقتسام خيرات الشعوب الضعيفة تحت الحكومات المستبدة التي باعت أوطانها، وموجات من الفقر والحرمان والجهل عصفت بالعقل والذات، وتركت العقول والقلوب خاوية ليس لها هم إلاّ ما يصلح لقمة نجاة من الموت جوعا.

إن وضعية آدم تختزل تاريخا وفلسفة وإيديولوجية تبدو واضحة ومألوفة للناس، لكنها تكشف وراءها غموضا وعلامة استفهام كبيرة، هذا العربي الذي يبحث عن ذاته في ذاته، وعنها بالنسبة للآخر الذي امتلك حق تجليها وتعبيرها ووجودها،ألا يمكن للعربي أن يعيش بسلام كغيره من البشر والحيوانات؟ أليس لديه الحق في

امتلاك حرية معرفة نفسه بنفسه لا بواسطة الغير؟أليس للعربي حق في نهاية جميلة كباقي البشر؟

أم أنه لا يستحقها؟ كثيرة هي التساؤلات التي تطرحها الرواية في ظل التقلبات التي يعيشها الوطن العربي اليوم فهل هناك خيار للأمة العربية للنهوض بنفسها وتجاوز الأزمات التي تعصف بها؟

إن الرواية " **ليست تجسيدا للواقع فحسب، ولكنها فوق ذلك موقف من هذا الواقع. هذا الموقف لا يمكن أن يتخذ إلاّ بإعادة إنتاج هذا الصراع الواقعي والإيديولوجي في النص.**"[10] لتكون الانطلاقة من جديد عن طريق تقييم الأوضاع، وتهيئة القاعدة الفكرية، حكاية العربي الأخير كما يقول عنها واسيني : **هي في النهاية مجرّد محاولة انتساب إلى الحرِّيَّة والحبّ والنور، واختبار مدى استحقاقنا لحياة ليست دائمًا سهلة أو متاحة. امتحان قاسٍ، لكنّه شديد البهاء، يستحقّ أن نعيشه ونصابَ بدواره.**"[11]

<u>الرؤية الفكرية والجمالية في الرواية</u>:

استشرف الكاتب المستقبل مثلما فعل جورج أورويل* في روايته " 1984"*، ناقدا للواقع المعاش، والسلطة الديكتاتورية، فقد مثلت رواية العربي الأخير امتدادا لرواية جورج أورويل من خلال فكرة الاستشراف للمستقبل، والاحتفال بالذكرة المئوية "**للبيغ براذر**" رمز السلطة الحاكمة في رواية "1984" من طرف حفيده " **ليتل بروز**" في "حكاية العربي الأخير 2084" إحالة لعلاقة الروايتين وامتداد الفكرة بين الكاتبين، فالأول صور الصراع " الغربي الغربي" أما واسيني فقد صور الصراع "الغربي الشرقي"،وقد جاءت الروايتان كتصور وتحذير لمستقبل من الوارد حدوثه، حيث اشتركتا في أن القيم البشرية ستتحول تحت ظل هذا الواقع إلى أشياء هامشية لا معنى لها.

لا شك أن واسيني الأعرج قد استوحى من هذه الرواية مثل الكتاب الذين فعلوا ذلك أمثال: " **راي برادبوري**" في روايته "**فهرنهايت 451**"، و"**ستيفن كنج**" في روايته "**الرجل الراكض**" و"**آرثر بيرجس**" في "**البرتقالة الميكانيكية**"، حيث أسقط

واسيني الفكرة على العالم العربي مع اختلاف في مجموعة من التفاصيل، لكن الجوهر كان مشتركا، وهو نقد الحكم الشمولي التسلطي الذي لا يعترف بالآخر.

ولعل تشابه المرحلة التاريخية التي كتب فيها الكاتبان " أورويل (1984) وواسيني(2084) " توحي بأن العنصر البشري مازال يفتقد الحرية والسلام، ويراود حلما لم يفتح له المجال للتحقق، وأن العالم كلّه كان ومازال يعيش داخل دوامة اعتلتها الأنانية وحب الذات، ففي الروايتين كان الصراع جليا بين الأنا والآخر في مجموعة القيم التي يحق للإنسان أن يتبناها كحقه في التفكير، في الحب، حقه في الحلم والحياة.

يقف الكاتب أمام الأحداث والوقائع متأملا، تارة يغوص في تاريخ ارتحل وترك بصماته على صفحات الذاكرة، وتارة يطفو على واقع مرير يحاول من خلال انتقاده نقش سطور تمتد كلماتها بين الماضي والحاضر ليرسم صورة يستشرف من خلالها النهاية، هذه النهاية التي لم يتمنها في بداية روايته.

بطل الرواية هو أبرز شخصياتها المثيرة التي تحمل مسحة من الواقعية، إذ تبدو لنا عملية الخلق الفني لهذه الشخصية أقرب إلى المنطق وقد استطاع "واسيني" عبر هذه الشخصية أن يطور الحدث الروائي ليؤدي لنا هذا الدور المتنامي المشحون بالكثير من الرمزية، حيث تبدأ رحلته بطرح الأسئلة الكبرى في البحث عن هويته وذاته، ونجد الكاتب قد اهتم بشخصية "آدم" اهتماما كبيرا، رسمها ببراعة ودقة متناهية، ودقق حواراتها والمشاهد التي حولها باعتبارها محورا أساسيا يدير من خلالها الأحداث.

خـــاتمة:

حكاية العربي الأخير –2084– رواية عرّجت على الذات العربية التي صارت عرضة للضياع، فكان البحث مستمراً عن تلك الذات المفقودة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إيمانه القوي والمستمر بهوية تحقق تواصلا بين الشرق والغرب، أو بالأحرى هوية تتحدد عناصرها داخل أفراد المجتمع الإنساني، وقد استغل الكاتب المخزون الثقافي والتاريخي الذي كان يتسرب إلى نصه بوعي أو بدونه، فقد

استوعب النص الروائي بنيات نصية عديدة مختلفة زمنيًا وخطابيًا ونوعيًا، أنتجها من جديد من خلال منحه إياها دلالة وأبعادًا مختلفة عن تلك التي اكتسبتها في سياقها الأصلي، وبذلك قدمها كعناصر بنيوية ساهمت في عملية بناء نصه وتكوينه، محققة الانسجام مع عالم نصه الروائي والرؤيوي على حد سواء، وقد طرح الكاتب في نصه الكثير من الأسئلة الوجودية التي مزجت بين الواقع التاريخي والتخييل الروائي، وأعطى تصورا للمستقبل الذي يراه غامضا.

قامت الكتابة الروائية في النص على الاستعادة و الاسترجاع، و الغرف من الواقع والخيال، و هنا يظهر المنظور الفكري للروائي، ومرجعيته المعرفية،حيث استطاع انتشال النصوص من سياقها الأصلي وتعبئتها بمعاني و دلالات مختلفة، حسب كل سياق فظهرت لنا قدرة الكاتب على التلاعب بالنصوص وتسخيرها لخدمة المعنى.

حكاية العربي الأخير –2084– استشراف كاتب لمستقبل انطلق فيه الكاتب من الواقع وصولا إلى التخييل. فهل يصدق هذا التخييل؟ أم أن المستقبل سيكون جميلا على عكس ما رآه الكاتب؟...

هوامش

1 – سعيد يقطين : الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط1، 1997 ص .15

3– علي حرب: حديث النهايات – فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط2، 2000 ص25.

3 – محمد محفوظ: الحضور والمثاقفة – المثقف العربي وتحديات العولمة–، العربي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 2000 ص 61.

4– واسيني الأعرج : حكاية العربي الأخير، دار موفم للنشر، الجزائر، 2015.

5– المصدر نفسه: ص 44.

6- المصدر نفسه: ص148.

7- ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2013 ص 23.

8- واسيني الأعرج: حكاية العربي الأخير: ص 149.

9- سلام الربضي: الثورات العربية والتساؤلات الأخلاقية حول الأنا والآخر، مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط، 2014.

10- حميد لحميداني :النقد الروائي و الأيديولوجيا - من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي- المركز الثقافي العربي،ط1، 1990م، ص 51.

* **جورج أورويل**(1903م/1950م): اسمه الحقيقي هو "أريك أرثر بلير".

* **1984**: رواية من تأليف جورج أورويل قدمها سنة 1949، تنبأ من خلالها بمصير العالم الذي ستحكمه قوى كبيرة تتقاسم مساحته وسكانه ولا توفر أحلامهم وطموحاتهم ، وقد مثل " **الأخ الأكبر**" دور السلطة الحاكمة التي تراقب كل شيء، وتعرف كل شيء، حيث يمثل حكمها الحكم الشمولي.

11- شيماء فؤاد: حوار مع واسيني الأعرج، شبكة المحيط الإعلامية، الاثنين، 23 مارس 2015.